وجهة نظر مّا حول الواقع، أي أحد التصورات الإديولوجية الموجودة في الساحة الفكرية، والتي يلتقي معها العملُ الإبداعي.

و«بليخانوف» يبقى هنا ـ على الرغم من كل شيء ـ في حدود التعامل مع الأدب (الرواية، والمسرح بشكل خاص) على أنّهما صنفان من أصناف الإديولوجيا. وهو يقول بهذا الصدد:

«إنني أرى أن الوعي الاجتماعي يتحدد بالشروط الاجتماعية: وواضح بالنسبة إلى كلٍّ من يأخذ بوجهة النظر هذه، أن «كل إديولوجيا» بما فيها الفن، وما يسمى بالآداب الجميلة، إنما تُعَبِّرُ عن الميول، والأحوال النفسية لمجتمع بعينه. وإذا كان هذا المجتمع منقسماً إلى طبقات فلطبقة بعينها»[92].

أما عن الفعل الثاني في العملية النقدية؛ وهو الاهتمام بالجانب الجمالي في العمل الأدبي، فيقول عنه «بليخانوف».

والفعل الثاني في نقد مادي متماسك منطقياً، يجب أن يتمثل ـ مثلما فعل المثاليون ـ في تقييم الخصائص الجمالية للأثر موضوع الدرس»[93].

ولا بد من الإشاة هنا إلى أن الترتيب: (الواجب أو الفعل الأول، والفعل الثاني) يفترض بعض المسلمات النظرية التي لم يُصَرِّحْ بها «بليخانوف» ولكنها يمكن أن تُسْتَخْلَصَ بسهولة من تحديداته السابقة منها:

ـ أن الوصول إلى المضمون الإديولوجي في النص الأدبي أو الروائي بشكل خاص، ممكنٌ دون تحليل الجانب الجمالي ما دام تحليل المضمون، في نظره، يأتي في مقدمة عمل الناقد: (الواجب الأول).

ـ أن التقييم الجمالي ـ وفق تعبير «بليخانوف» نفسه ـ **هو خطوة لاحقة، ومكملة فقط لعمل الناقد.**

إننا نلاحظ أيضاً أن «بليخانوف» يستعمل كلمات تؤكد هذه الأولوية التي يعطيها لاستخراج المضمون الإديولوجي من العمل الأدبي عندما يَسْتَخْدِمُ بالنسبة لدراسة المضمون كلمة «تحليل» بينما يقتصر على كلمة «تقييم» عندما يتعلق الأمر بدراسة الجانب الجمالي، والتمييز بين هاتين الكلمتين المتباينتين لا يُعَدُّ في نظرنا مسألة اعتباطية ولا أهمية لها، بل لها دلالة واضحة على أسبقية المضمون على الجانب الفني في تصور الناقد.

---

(92) جورج بليخانوف: **الفن والتصور المادي للتاريخ**، ص 59.

(93) جورج بليخانوف: **الفن والتصور المادي للتاريخ**، ص 50.